

ندوات تلفزيونية - قناة الشام الفضائية - عقل وقلب : الدرس (١٠-١٢): من سيرة الصحابي
الجليل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملاق الإسلام ، والسماء ذات الرجوع
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٥-٠٩-٢٠٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

الأستاذ جميل :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأحبة ، أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء
جديد في برنامجنا عقل وقلب .
حديثنا عن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي
معه ، وكان عصرهم . رضوان الله عليهم . قد انتهى سنة عشر ومئة ، بوفاة آخر صحابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، أبو الطفيل عامر بن واثلة ، ضيفنا فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي ،
فضيلة الدكتور نحب صحابة النبي عليه الصلاة والسلام إذا عرفنا سيرتهم ، فهل لنا بالحديث عن
أمثلة على ذلك ؟

عملاق الإسلام عمر بن الخطاب :

الدكتور راتب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد
الأمين ، بلغني أنه في لندن مكان يزار كثيراً كتب على مدخله كهف العدالة ، هذا المكان تخليد لهذا
الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب الذي كان كما يصفه بعضهم بأنه عملاق الإسلام ، هذا
الصحابي ينفرد من بين الصحابة بتفوقه في رحمته وفي عدله ، كان إذا أراد إنفاذ أمر ، جمع أهله
وخاصته ، وقال : إني قد أمرت الناس بكذا ، ونهيتهم عن كذا ، والناس كالطير ، إن رأوكم وقعتم
وقعوا ، وإيم الله لا أوتين بواحد وقع فيما نهيت الناس عنه إلا ضاعفت له العقوبة لمكانه مني ،
فصارت القرابة من عمر مصيبة .
أي قريب عمر مبتلى بهذه القرابة ، حسابه شديد جداً ، خطأه فادح .

صور من حياة سيدنا عمر رضي الله عنه :

ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟

الحقيقة سيدنا عمر وضع يده على جراح
الأمة ، قال : أقطع يده بحسب الحكم
الشرعي ، قال : إذا فإن جاعني من
رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع
يدك ، إن الله قد استخلفنا عن خلقه لنسد
جوعتهم ، ونستر عورتهم ، ونوفر لهم
حرفتهم ، مهمة الحاكم ، فإن وفينا لهم
ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي
خلقت لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة



كل حاكم مسؤول عن رعيته

عملاً التمس في المعصية أعمالاً ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعاصي ، ما هذا الفهم
لمهمة الحاكم ؟ إن هذه الأيدي خلقت لتعمل ، حق العمل ، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك
بالمعصية ، فإن وفينا لهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، سيدنا عمر مشى ببلدة ، فرأى كل الفعاليات
ليست من المسلمين ، فعنفهم تعنيفاً شديداً لغيرته عليهم ، فاحتجوا كما يحتج أغنياء المسلمين الذين
وجدوا أنفسهم مع ثروات طائلة ، فقالوا : إن الله سخرهم لنا ، فقال سيدنا عمر : فكيف بكم إذا
أصبحتم عبيداً عندهم ، أدرك هذا الخليفة الراشد في وقت مبكر جداً أن المنتج قوي وأن المستهلك
ضعيف .

أحياناً دولة نامية تدفع أجرة تعمير محرك طائرة خمسة ملايين دولار ، أربع محركات عشرون مليوناً
أي مليار ليرة ، كم طن قمح وكم طن قطن ؟ يبيعوننا بسعر فلكي بعقود إذعان ، ونقدم لهم موادنا
الأولية بسعر بخس ، فلذلك قال : كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم .

زهدي عمر بن الخطاب و محاسبته لنفسه حساباً عسيراً :

مرة رأى إبلاً سمينة ، سأل خليفة المسلمين هذا السؤال قال : لمن هذه الإبل ؟



المؤمن يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون

قالوا : هي لابنك عبد الله ، فغضب أشد
الغضب ، قال : انتنوني به ، جاؤوا به ،
وجده غاضباً ، قال : لمن هذه الإبل ؟
قال : هي لي يا أبت ، اشتريتها بمالي ،
وبعثت بها إلى المرعى لتسمن ، فماذا
فعلت ؟ أين الخطأ ؟ انزعج سيدنا عبد
الله ، قال له : و يقول الناس : ارعوا

من سيرة الصحابي الجليل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عملاق الإسلام ، والسماء ذات

هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، اسقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ، وهكذا تسمن إبلك يا بن أمير المؤمنين ، علمت لماذا هي سمينة ؟ لأنك ابني ، بع هذه الإبل ، وخذ رأسمالك ، ورد الباقي إلى بيت مال المسلمين .

بلغه مرة أن بعض الولاة فشت له فاشية ، يعني له في مسكنه ، في ملبسه ، في مركبه ، في بيته ، ما ليس لعامة الناس ، فقال له أما بعد فقد فشت لك فاشية ، أرسل له كتاباً في هيئتك وملبسك ومطعمك ومشربك ليست لعامة المسلمين ، احذر يا عبد الله أن تكون كالدابة مرت بواد خصب فجعلت همها في السمن وفي السمن حتفها .

كان يحاسب نفسه حساباً عسيراً ، مرة وضع له طعام نفيس فبكى وقال : بئس الخليفة أنا إذا أكلت أطيبها وأكل الناس كراديسها ، مرة في عام المجاعة اشتهى اللحم فقرقر بطنه ، قال كلمة رائعة مخاطباً بطنه : قرقر أيها البطن أو لا تقرقر فوالله لن تذوق اللحم حتى يشبع منه صبية المسلمين . كان في أعلى درجات الورع ، لذلك مرة جاءه رسول عامله على أنذربجان ووصل المدينة ليلاً ، وكره أن يطرق باب أمير المؤمنين ودخل إلى المسجد فسمع إنساناً يصلي ويبكي ويقول : ربي هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم رددتها فأعزبها ؟ فقال هذا الزائر من أنت يرحمك الله ؟ قال أنا عمر ، قال أمير المؤمنين ؟ يا أمير المؤمنين ألا تنام الليل ؟ فقال : أنا إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي .

تأدب عمر بن الخطاب و أخلاقه العالية :

هذا الصحابي الجليل كان مع أحد الصحابة عبد الرحمن بن عوف يتفقد شؤون المدينة ليلاً ، رأى قافلة قد حطت ركابها في ظاهر المدينة فقال لسيدنا عبد الرحمن تعال يا عبد الرحمن نحرس هذه القافلة ، أمير المؤمنين ، سمع بكاء طفل صغير في أحد الخيام ، قال لأمه أرضعيه رحمة به ، فبكى ثانياً نبه أمه ، فبكى ، فغضب

كان عصبى المزاج قال : أرضعيه ، فغضبت المرأة ، قالت : ما شأنك بنا ؟ إني أفطمه ، قال ولما ؟ قالت : لأن عمر لا يعطي العطاء إلا بعد الفطام ، تروي الروايات أنه ضرب جبهته وقال كلمة صعق لها : ويحك يا بن الخطاب كم قتلت من أطفال المسلمين ؟ ثم أصدر أمراً جديداً لجعل التعويض العائلي مع الولادة لا مع الفطام ،



وصلى الفجر في أصحابه لم يفهم أصحابه قراءته من شدة بكائه ، لكنه دعا فقال يا رب هل قبلت توبتي فأهني نفسي أم رددتها فأعزبها ؟

هذا العملاق كان يقول : والله لو تعثرت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها ، لم لم تصلح لها الطريق يا عمر ؟

مع هذا التفوق كان أدبياً أديباً جداً ، في أول خطبة ألقاها بعد تسلمه منصب الخلافة ، وقف في الدرجة العليا من المنبر كشأن أي خطيب في التاريخ الإسلامي ، لكنه فاجأ الناس نزل درجة ، فقال: ما كان الله ليراني أن أرى نفسي أهلاً لمجلس أبو بكر ، سيدنا عثمان بالحكمة بالغة بالغة نزل درجة ثم عاد إلى ما كان عليه ، وقد سأل خليفة أموي وزيره : لم لم ينزل درجة ؟ قال : أما والله لو فعلها لكنت في قعر بئر .

هذا الصحابي الجليل صحابي فذ ، وبطل عظيم ، والأمة الإسلامية تفخر به .
الأستاذ جميل :

نحن نتحدث عن عملاق الإسلام عمر بن الخطاب فضيلة الدكتور .

الدعوة إلى الله دعوتان دعوة إلى الله خالصة ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله :

الدكتور راتب :



الدعوة إلى الله من خصائصها الاعتراف بالآخرين والتعاون بينهم

مرة كان مع أصحابه ، قال أحدهم : والله ما رأينا خيراً منك بعد رسول الله ، فغضب غضبة لا حدود له ، وأحد فيهم النظر ، إلى أن قال أحدهم : لا والله ، لقد رأينا من هو خير منك ، فقال : من هو ؟ فقال : أبو بكر ، قال : كذبتم جميعاً وصدق ، عدّ سكوت أصحابه كذباً ، فقال : كذبتم جميعاً وصدق ، والله كنت أضلّ من بعيري ، وكان أبو بكر أطيب من ريح المسك .

هكذا كان الود بين أصحاب رسول الله ، هكذا كان الحب بين أصحاب رسول الله ، هكذا كانت التضحية بين أصحاب رسول الله ، لذلك نحن بحاجة إلى الحب ، نحن بحاجة إلى التعاون لا التنافس ، أنا أقول دائماً أستاذ جميل الدعوة إلى الله دعوتان دعوة إلى الله خالصة ، ودعوة إلى الذات مغلفة بدعوة إلى الله ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاتباع لا الابتداع ، والدعوة إلى الذات من خصائصها الابتداع لا الاتباع ، هو يبتدع حتى يقول أنا الوحيد ، أما المؤمن

الصادق يتبع ولا يبتدع ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها التعاون ، بينما الدعوة إلى الذات من خصائصها التنافس ، الدعوة إلى الله الخالصة من خصائصها الاعتراف بالآخر ، والدعوة إلى الذات من خصائصها إلغاء الآخر .

الحب و التعاون و الرحمة بين أصحاب الرسول الكريم :

لذلك مرة كان سيدنا عمر وزير العدل في عهد الصديق ، يبدو أن هناك قضية أحالها إليه ، فسيدنا عمر ارتأى أن يرفض طلب هذا المستدعي ، فذهب هذا الإنسان لسيدنا الصديق ليوقع بينهما ، قال للصديق الخليفة أنت أم هو ؟ فقال هو إذا شاء ، لا يوجد مشكلة ، نحن بحاجة إلى هذا الحب وهذا التعاون ، فلذلك سيدنا عمر حينما وقف هذا الموقف دعمه الصديق .



التعاون والحب والتواضع من صفات المؤمنين الحق

سيدنا عمر وهو على المنبر كان يخطب ، قطع الخطبة بلا مبرر ، وقال : " يا عُمير كنت راعياً ترعى على قراريط لبني مخزوم ، وأكمل الخطبة ، شيء غريب ، ليس هناك داعٍ لقطع الخطبة ، فلما نزل سُئِلَ : " يا أمير المؤمنين لم قلت ما قلت ؟ " ، قال : جاءتني نفسي فقالت لي : أنت أمير المؤمنين ، ليس بينك وبين الله أحد ، يعني أنت قمة المجتمع ، أردت أن أعرفها نفسها حيث كنت راعياً أرعى الإبل على قراريط لأهل مكة .

كان تواضعه جَمّ ، مرة الناس خافوا من شدته ، كان شديداً فطمأن الناس قال : أيها الناس قد أضعفت ، أحياناً يكون الأب شديد ، الأم رحيمة ، هو كان مع رسول الله شديد النبي رحيم ، مع الصديق هو شديد الصديق رحيم ، الآن الأمر بيده ، قال : اعلموا أن هذه الشدة قد أضعفت لكنها

إنما تكون على أهل البغي والعدوان ، أما أهل الطاعة والتقوى فأنا أضع خدي على الأرض لأهل العفاف وأهل الكفاف .

فقه عمر في علم العقيدة :

مرة قال والله يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباةتي هذه ، ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى ، سيدنا عمر كان طموحاً كان يقول : أريد أميراً ، أعطى مواصفات للأمير مذهلة ، أريد أميراً ، إن كان أميراً حقيقة من شدة تواضعه بدا وكأنه واحد من أصحابه ، كما قال الأعرابي أيكم محمد ؟ وإن لم يكن أميراً بدا وكأنه أمير ، من شدة غيرته على المصلحة العامة ، يؤمر نفسه ، هذه صفات رائعة جداً .



أريد أميراً (إن كان أميراً من تواضعه بدا وكأنه واحد من أصحابه ، وإن لم يكن أميراً بدا وكأنه أمير ، من شدة غيرته على المصلحة العامة) هذه مواصفات الأمير عنده ، وكان فقيهاً في علم العقيدة . شارب خمر سيق إلى سيدنا عمر فقال : أقيموا عليه الحدّ ، قال : والله يا أمير المؤمنين إن الله قدر عليّ ذلك ، أراد أن يوظف القضاء

والقدر ليبرر معصيته ، وما أكثر المسلمين الذين يحتجون بالقضاء والقدر ليغطون تقصيرهم ، يقصر لا يدرس ، لا ينجح ، يقول لك : هذه مشيئة الله ، الله عز وجل ما أراد لي النجاح ، هذا كذب وهذا دجل ، أنا أقول دائماً أنت حينما تأتي بالأسباب كاملة ويحال بينك وبين النتائج لك أن تقول ساعتئذ حسبي الله ونعم الوكيل ، فكان سيدنا عمر عملاق الإسلام فقيهاً قال : أقيموا عليه الحدّ مرتين ، مرة لأنه شرب الخمر ، ومرة لأنه افتري على الله ، قال : ويحك يا هذا ، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار .

الإنسان حرّ في أعماله لولا هذه الحرية ما ثمن عمله :

أكد أن الإنسان حرّ في أعماله لولا هذه الحرية ما ثمن عمله ، لو أن الله أجبر عباده على الطاعة لبطل الثواب ، ولو أجبرهم على المعصية لبطل العقاب ، إن الله أمر عباده تخييراً وكلف يسيراً ولم يكلف عسيراً ، وأعطى على القليل كثيراً ، فهمه عميق جداً .

سيدنا سعد أستاذ جميل كان من أكبر أصحاب رسول الله ، كان إذا دخل على النبي عليه الصلاة والسلام ، النبي يهش له ويهش ، يقول له مداعباً :

((هذا خالي ، فَأُيْرِنِي امْرُؤَ خَالِهِ))

[الحاكم في المستدرک عن جابر]

ما كان يداعب أحداً كما داعب هذا الصحابي الجليل ، هذا خالي أروني خالاً مثل خالي ، وما فدى النبي عليه



الصلاة والسلام في حياته صحابي بأمه وأبيه كما فدى سعد بن أبي وقاص ، قال :

((يا سعد ارم فداك أبي وأمي))

[ابن ماجه وأحمد عن علي]

أستاذ جميل استمع إلى ما قاله له عمر رضي الله عنه بعد موت رسول الله ، قال له : يا سعد ، لا يعزّنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له .

يعني فهم عميق لكن أراد أن ينبهه لئلا يجعل من كلام النبي عليه الصلاة والسلام غطاءً للتقصير ، أحياناً إنسان يكون منسوباً لأسرة عريقة هذا النسب يدفعه إلى التقصير في أداء العبادات ، في أداء الأعمال الصالحة .

قال له : لا يعزّنك أنه قد قيل خال رسول الله ، فالخلق كلهم عند الله سواسية ، ليس بينه وبينهم قرابة إلا طاعتهم له .

عبادة التفكير والتدبر :

الأستاذ جميل :

فضيلة الدكتور عبادة التفكير والتدبر تجعل الإنسان ينطق بقول الحق سبحانه :

﴿ قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

(سورة يونس الآية : ١٠١)

ماذا في السماوات والأرض ؟

التفسير العلمية حول قوله تعالى "والسمااء ذات الرجج" :

١ . إرجاع بخار الماء مطراً :

الدكتور راتب :

لأزلنا نوكد أن هناك تناغماً بين معرفة الله وبين طاعته فكلما ازددت تعظيماً له ازددت طاعة له ، لأن الله عز وجل حينما تعظم الأمر تعظم الأمر ، إن عرفت الأمر ثم عرفت الأمر تفانيت في طاعة الأمر ، الله عز وجل يقول :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْجِ ﴾

(سورة الطارق)

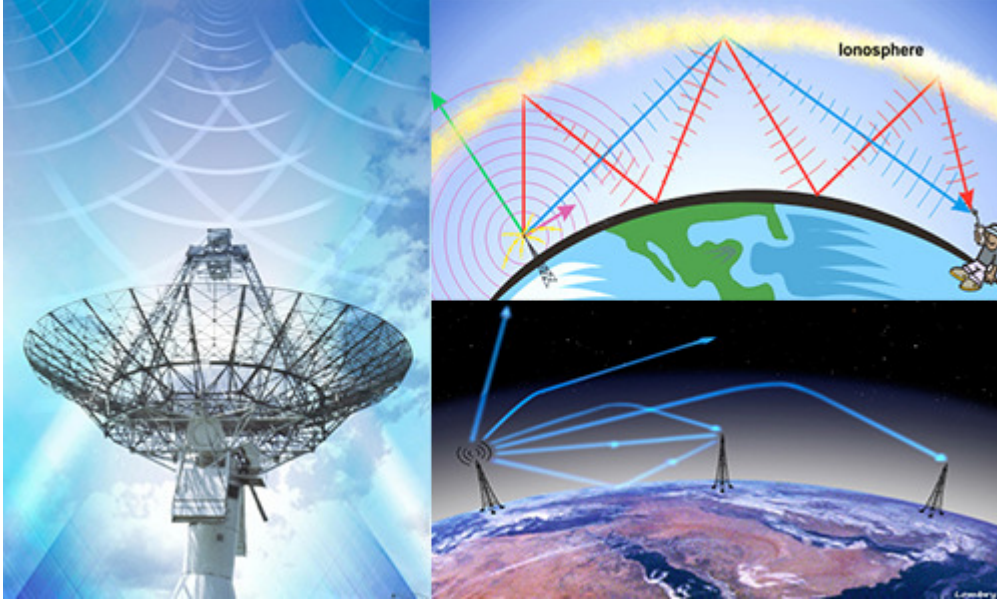


السمااء تبخر الماء لترجعه مطراً

فُهمت في وقت ما على أن السمااء ترجع بخار الماء مطراً ، السمااء ترجع هذا البخار مطراً ، شيء رائع جداً يعني تفسير علمي لهذه الآية .

٢ . إرجاع الموجات الكهرطيسية بثاً :

فُهمت في وقت آخر على أن الأمواج الكهرطيسية التي تبث إلى الفضاء الخارجي نحو الأعلى ترجع إلى الأرض ، ما الذي يرجعها ؟



الأمواج الكهرومغناطيسية تنبث نحو الفضاء وترجع إلى الأرض

قالوا : هناك طبقة في الجو اسمها الأثير ترجعها إلى الأرض ، ولولا هذه الطبقة لما كان اتصال على وجه الأرض وما كانت هذه الندوة ، هي تنبث إلى الفضاء ويستقبلها أصحاب الأجهزة في الأرض ، ما الذي أعاد الموجات الكهرومغناطيسية إلى الأرض ؟ طبقة الأثير .

٣ . إرجاع الكواكب إلى مكان انطلاقها الأساسي :

الآن سنفهم هذه الآية فهماً آخر :

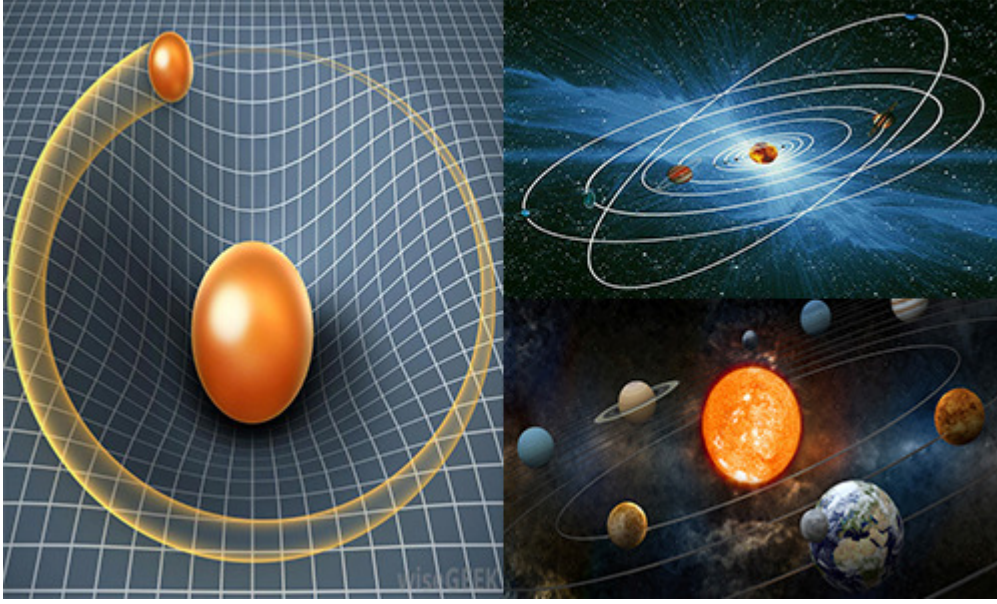
﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

(سورة الطارق)

ثم اكتشف أخيراً أن كل كوكب وكل نجم يدور حول كوكب آخر في مسار مغلق ، بمعنى أنه يرجع إلى مكان انطلاقه النسبي وكأنها صفة جامعة مانعة للكون :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

(سورة الطارق)



الكواكب تدور في مسارها لتعود لمنطلقها الأصلي

لذلك هناك من يقول إن الإعجاز العلمي عليه مأخذ ، ما هو المأخذ ؟ أن العلم في تطور مستمر ، من قال لك إن هناك آيات صيغتها عجيبة ، صيغتها تغطي كل التطورات من إرجاع بخار الماء مطراً ، إلى إرجاع الموجات الكهرومغناطيسية بئاً ، إلى إرجاع الكواكب إلى مكان انطلاقها الأساسي فإذا قرأت هذه الآية :

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾

(سورة الطارق)

تشعر بأنك مع قرآن من عند خالق الأكوان .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

نشكر لكم فضيلة الدكتور هذا الكلام الطيب ، وشكراً لكم أيها الأخوة المشاهدون ، نراكم إن شاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين